

نفحات القرآن

[18] للتأكيد [هذه الحاكمية المطلقة والمالكية المسلمة] على العالم جاءت بالتفصيل في الآيات اللاحقة ، وهذه الآيات - في الحقيقة - جاءت على صورة البيان (الإجمالي) و (التفصيلي) وهو من الأساليب القرآنية المعروفة في بيان القضايا المهمة ، ففي البداية تذكر القضية بشكل مغلق كي يستعد السامع ثم تشرح بشرحها [التعبير بفاء التفرع في (فلمّا) إشارة واضحة إلى هذا الأمر] . على كل حال فإن القرآن شرع بتبيان هذا الإجمال في الآيات اللاحقة ، فيبدأ أوّلاً بالنجوم ويبيّن إستدلال إبراهيم (عليه السلام) في إبطال مذهب عبدة النجوم بهذا النحو : (فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي) . التعبير بـ (رأى كوكباً) مع ان نجومًا كثيرة تظهر في الليل - فيه إشارة إلى نجم كبير ولامع ألفت نظره إليه ، وبما ان كوكب (الزهرة) يظهر أوّل الليل و (كوكب) يعني (النجم عند طلوعه) يتأيد بذلك التفسير الذي يميل إليه أغلب المفسرين وهو ان النجم كان الزهرة أو المشتري اللذين كانا يعتبران في العصور القديمة من الآلهة المعبودة عند المشركين ، وخاصة ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في إحدى الروايات بأن هذا النجم هو كوكب الزهرة . على كل حال فإن هذا النجم لم يدم طويلا حتى أفل ، فقال إبراهيم (... لا أحبُّ الآفلين) . مرّة أخرى التفت إبراهيم إلى طلوع (القمر) من وراء الأفق فأضاء السماء والأرض بنوره الأضداد والجميل فقال إبراهيم (هذا ربّي) . ولكن لم يدم طويلا حتى تعرّض القمر إلى مصير النجم واختفى وراء الأفق وترك السماء في ظلام مرّة أخرى ، (عندئذ قال إبراهيم) (عليه السلام) الذي كان يسعى للوصول إلى وحدة المعبود والرب الحقيقي (لئن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) . وبهذه الطريقة أوضح أن سعي الإنسان لا يكفي للوصول إلى الحق ، بل يجب أن يشمل الإمداد الإلهي كي لا يكون من الضالين ، ومن المؤكّد ان هذا